# بنية المجتمع العراقي نهاية الحكم العثماني وبداية تأسيس الحكومة الوطنية في العراق

أ. م. د. محمد علي تميم

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنْ الرَحِيمْ

## مقدمة تاريخية

إن مصطلح العراق على الرغم من اختلافات لفظية بسيطة حول اصل التسمية، ظهر للوجود منذ اقدم عصور التاريخ، إلا انه و على مر العصور أيضا لم يكن دوماً كياناً جغرافياً محدداً و معيناً و لا حتى سياسياً قبل عام ١٩٢٠م. إنما كان يشير بصورة مبهمة إلى السهل الرسوبي جنوب العراق اليوم أي المنطقة الممتدة من بغداد إلى البصرة فالخليج العربي (١) وقد استعمل مصطلح العراق بدلاً من اللفظة اليونانية (ميسوبوتاميا–Mesopotamia ) لاحقاً للإشارة إلى الرقعة المؤلفة من المدن الثلاث ( البصرة و بغداد و الموصل ) وما حولها من البوادي (٢).

كانت المنطقة التي تؤلف ما يدعى الآن العراق الحديث ومركزها بغداد(٣) من الناحية الرسمية جزءاً من الدولة العثمانية ما يقارب اربعة قرون، و لحين انزلت القوات البريطانية المرابطة في الهند قواتها في مدينة الفاو ليلة ٧/٦ من تشرين الثاني ١٩١٤م(٤). و منذ عام ١٥٣٤م وهي السنة التي سيطر فيها العثمانيون على بغداد و حتى بداية الاحتلال البريطاني للعراق في عام ١٩١٤م كان العراق جزءاً من الدولة العثمانية و إن اختلف وصفه من حين إلى آخر (٥)، و قد الّفت الى زمن طويل مناطق بغداد والبصرة و الموصل الثلاث ولاية واحدة هي ولاية بغداد و هو ما يعرف بالخطة العراقية إلا أنه في عام ١٨٧٩م فُصلت الموصل كولاية مستقلة و اصبحت البصرة ولاية ثالثة في عام ١٨٨٤م (٦).

و على العموم تمتع العراق – مثل غالبية أجزاء الإمبراطورية العثمانية – بنوع من الاستقلال في الشؤون الإدارية و الاقتصادية و المالية و لمعظم حقبة الحكم العثماني. و كان

من نتائج هذا الاستقلال الجزئي و النسبي أن أصبحت الإدارة الفعلية بيد الوجهاء في المقاطعات و المدن و بيد شيوخ العشائر و المقامرين العسكريين، وكان على هؤلاء _في اغلب الاحيان_ الحصول على تثبيت حقهم في الإدارة من السلطات العثمانية في اسطنبول لكن قواعدهم كانت محلية ضمن منطقة محدودة و نتيجة لذلك فان قليلاً من الذين كانوا يسكنون ولايات البصرة و بغداد و الموصل كانوا يشعرون بأنهم جزء من وحدة سياسية كبرى هي العراق(٧)

نتيجة لذلك كان الجهاز الإداري ضعيفاً يضع رفاهيته و مصلحته فوق الكفاءة مما يعني بالضرورة أن الحكومة تعتمد في واقع الأمر على الزعامات المحلية التقليدية للحفاظ على بنيتها الأساسية و هذا يلائم ما يريده الوجهاء من الملاكيين المحليين وعلماء الدين، الذين يفضلون _بالطبع_ جهازاً إداريا ضعيفاً يحتاجهم، من دون الحاجة الى قوى اخرى هم في غنى عنها، لكن ضعف الإدارة كان يمثل مصدر قلق، لأنه يعني عدم تلبية حاجتهم الأساسية للقانون و النظام.

كانت الزعامة المحلية في الغالب وراثية تتألف من عدد من الأسر احتفظت بمركزها لأجيال عديدة و كان الوجهاء محافظين جداً يعارضون كل تغيير لئلا يزعزع التغيير مكانتهم، وتمتع عدد من الوجهاء بمقام ديني فضلاً عن الوجاهة التي تتأتى من حيازة الثروة، فأضاف هذا إلى سلطتهم و نفوذهم ميزات اخرى،وهكذا أمسى الاتكال المتبادل بين الجهاز الإداري العثماني والزعامة المحلية التقليدية حلفاً لعدم التغيير او التطور، ولطالما جرى الاحتفاظ بميزان القوى فلا مجال للتغيير أو التطور او اي تقدم جذري (٨).

صاحب هذا الاستقلال الجزئي والنسبي عدم تجانس مكونات السكان في العراق إذ لم يكن العراقيون شعباً واحداً أو جماعة سياسية واحدة بل كان المجتمع العراقي يتألف من الكثير من الأقليات العرقية والدينية كالأكراد والتركمان والفرس والاثورين والأرمن والكلدانيين واليهود و الأيزيدية والصابئة وآخرين، و حتى العرب الذين يؤلفون أكثرية سكان العراق كانوا يتشكلون إلى حد بعيد من جملة من المجتمعات المتمايزة و المختلفة في ما بينها و المنغلقة على الذات على الرغم من تمتعهم بسمات مشتركة (٩)، وإن ابرز الاختلافات بينهم كونهم

ينتمون إلى طائفتين رئيستين هما السنة الأكثرية طوال الحقبة التي سبقت القرن التاسع عشر والأقلية الشيعية في الحقبة نفسها لكن هذا الحال تغير في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين (١٠) و هو ما سنتناوله في موضع آخر من هذه الدراسة.

## الخارطة الجغرافية لسكان العراق

يقطن الأكراد المنطقة الجبلية في الشمال و الشمال الشرقي و يشارك الأيزيدية الأكراد في الأصول العرقية و يتداخلون معهم في السكن، أما التركمان فان تنظيمهم العشائري اضعف من التنظيم لدى العرب و الأكراد على حد سواء و يسكنون في مدن كركوك و التون كوبري و اربيل و كفري و قره تبه و طوز خورماتو و داقوق و ذلك على امتداد الطريق بين بغداد و الموصل من جهة كركوك و يوجد عدد منهم في تلعفر، أما الشبك فانهم أقلية عرقية ترجع في جذورها إلى الفرس و تتحدث بلهجة كردية محلية و تسكن على ضفاف دجلة جنوب الموصل (١١) و تكاد تكون هذه الاقليات الكردية و الأيزيدية و التركمانية محصورة في ولاية الموصل وحدودها _في الغالب_، كما يوجد الفرس في بغداد وهناك أيضا بعض الأكراد الذين يعتنقون المذهب الجعفري (١٢) و هم يعرفون بإسم الأكراد الفيلية (١٣) ويسكنون في مدن مندلي و بدرة و القرى القريبة منهما، أما الصابئة فانهم يسكنون في المناطق القريبة من الأنهار و ذلك لارتباطها بشعائرهم الدينية و هم لامسلمون و لا مسيحيون وانما هم اتباع ديانه سماوية موحده ونبيهم هو نبي الله يحيى (علية السلام)، و يعملون في الصياغة و صناعة الورق، هذا فضلاً عن اليهود الذين ينتشرون في جميع مناطق العراق _تقريباً_ بأقلية بسيطة في البلاد، وكذلك المسيحيون الذين ينتشرون أيضاً بولايات العراق الثلاث لكنهم في ولاية الموصل كانوا اكثر نسبياً من باقي الولايات و هم اكثر قليلاً من اليهود و يتوزعون إلى طوائف متعددة مثل الأرمن و الاثوريين و اليعاقبة و السريان و الكلدان و النساطرة و غيرها (١٤).

أما العرب فانهم يشكلون أغلبية سكان الولايات الثلاث و ينقسمون إلى طوائف دينية أبرزها الطائفة الشيعية و الطائفة السنية (١٥) و يتوزعون في جميع الولايات الثلاث بنسب مختلفة، و نستطيع أن نوزع سكان العراق على وفق اصولهم العرقية و طوائفهم كآلاتي:

تقطن الطائفة الشيعية العربية في المنطقة التي تقع جنوب بغداد أي في الكوت والحلة و الديوانية و الناصرية و العمارة و هذه المنطقة من الناحية الجغرافية هي عبارة عن إقليم مؤلف من سهول مرويّة و من مستنقعات و اهوار بالقرب من نقطة التقاء نهري دجلة والفرات، و هي في تكوينها الإثني عربية باستثناء تمركزات بسيطة للإيرانيين في البصرة، و في مدينتي النجف و كربلاء المقدستين، و لكن شيعية هذه المنطقة ليست صافية تماماً وانما تتناثر هنا وهناك وفيها جزر سنية ذات طبيعة حضرية و إن كانت صغيرة في حجمها باستثناء تلك الموجودة في البصرة و الناصرية، إذ توجد طائفة سنية قوية في بلدة الزبير إلى الجنوب الغربي من البصرة و هي بلدة سنية بأكملها (١٦).

أما بالنسبة للسنّة فانهم يسكنون المنطقة التي تضم نهر الفرات شمال بغداد و ونهر دجلة بين بغداد و الموصل و هي كلها سنية و توجد فيها اقليات شيعية صغيرة في الدجيل وبلد، و هناك على امتداد الطريق القديم بين بغداد– الموصل –اسطنبول شريط من المستوطنات التركمانية منها تلعفر و داقوق و طوز خورماتو و قره تبه و هي شيعية، و التون كوبري و كركوك (١٧) و هي سنية.

أما الأكراد فانهم يسكنون الهلال الجبلي الذي يقع في شمال و شمال شرق العراق و هذه المنطقة سنية أيضاً و لكن لا بد من التفريق بينها و بين المنطقة السنية الغربية لأنها – خلافاً لهذه الأخيرة–كانت مخترقة بقوة بالمذاهب الباطنية والتى يمارسها الصوفيون، و هذه لا يعني انه لم تكن هناك آثار للصوفية بين العرب (١٨).

مما تقدم نخلص الى القول ان العراق يقسم إلى ثلاث مناطق و تجمعات سكانية متمايزة رئيسة حيث تلتقي هذه المناطق الثلاث في بغداد الكبرى و في ديالى وفي هذه المناطق ينتمي بعض الأكراد إلى المذهب الشيعي و يعرفون بالكرد الفيلية كما ذكرنا و هناك في المناطق الثلاث كلها جماعات غير مسلمة لا تشكل كلها معاً اكثر من ٧%.

كان مجموع سكان العراق في بداية القرن العشرين و تحديداً في نهاية العقد الثاني منه حوالي ٢٨٥١٩٨٢مليون نسمة مثّل الشيعة منه حوالي ٣و٥٢ % و السنّة حوالي ٢و٤٠

% و اليهود حوالي ٣% و المسيحيون بمختلف طوائفهم حوالي ٨و٢% و مثلت الأديان الأخرى حوالي ٤و١ % من السكان (١٩) و يوضح الجدول الاتي هذه الأعداد (٢٠).

**التركيب الديني والطائفي للعراق في عام ١٩١٩م.**

| سنة | شيعة % | يهود % | مسيحيون % | أديان أخرى % | المجموع %١٠٠ |
|---|---|---|---|---|---|
| بغداد (١٣٠٠٠٠) %٥٢ | (٥٤٠٠٠) ٦و٢١ | (٥٠٠٠٠) %٢٠ | (١٥٠٠٠) %٦ | (١٠٠٠) ٤و٠ % | ٢٥٠٠٠٠ |
| سامراء (٦٦٤٥٥) %٨٢ | (١٤٢١٥ ) %١٧ | (٣٠٠) ٣٧و٠% | – – | – – | ٨٠٩٧٠ |
| ديالى (٥٤٩٥٣) %٥٢ | (٤٦٠٩٧) %٤٤ | (١٦٨٩) ٦و١% | (٣٩٧) ٣٨١و٠% | (٩٠٠) ٨و٠% | ١٠٤٠٣٦ |
| الكوت (٨٥٧٨) ٩و٩% | (٩٨٧١٢) %٩١ | (٣٨١) ٣و٠% | (١٢٧) ١١و٠% | – – | ١٠٧٧٩٨ |
| الديوانية (١٠٠٠) ٤٨و٠% | (١٩٢٣٠) %٩٤ | (٦٠٠٠) ٩و٢% | (٥٠٠٠) ٤و٢% | (٢٠٠) ٠٩و٠% | ٢٠٤٥٠٠ |
| الشامية (٤٤٥) ٢٣و٠% | (١٨٩٠٠) %٩٩ | (٥٣٠) ٢و٠% | (٢٠) ٠٠١و٠% | (٥) ٠٠٢و٠% | ١٩٠٠٠٠ |
| الحلة (١٥٩٨٣) ٢و٩% | (١٥٥٨٩) %٩٠ | (١٠٦٥) ٦و٠% | (٢٧) ٠٠١و٠% | (٢٨) ٠٠١و٠% | ١٧٣٠٠٠ |
| الدليم (٢٤٧٠٠٠) ٨و٩٨% | (٢٠٠) ٠٠٨و٠% | (٢٦٠٠) ٠١و١% | (٢٠٠) ٨و٠% | – – | ٢٥٠٠٠٠ |

| سنة | شيعة % | يهود % | مسيحيون % | أديان أخرى % | المجموع ١٠٠% |
|---|---|---|---|---|---|
| البصرة (٢٤٤٠٨) ١٤% | (١٣٠٤٩) ٧٨% | (٦٩٢٨) ٠و٠٤% | (٢٢٢١) ١و٣٤% | (١٥٤٩) ٠و٩٣% | ١٦٥٦٠٠ |
| العمارة (٧٠٠٠) ٣و٢% | (٢٨٤٧٠) ٩٤% | (٣٠٠٠) ١% | (٣٠٠٠) ١% | (٥٠٠٠) ٦و١% | ٣٠٠٠٠٠ |
| المنتفك (١١١٥٠) ٤و٣% | (٣٠٦٢٢) ٩٥% | (١٦٠) ٠و٠٥% | (٣٠) ٠و٠٠٩% | (٢٤٤٠) ٠و٧٦% | ٣٢٠٠٠٠ |
| الموصل (٢٤٤٧١٣) ٦٩% | (١٧١٨٠) ٩و٤% | (٧٦٣٥) ١و٢% | (٥٠٦٧٠) ٤و١٤% | (٣٥١٨٠) ٦و٨% | ٣٥٠٣٧٨ |
| اربيل (٩٦١٠٠) ٦و٩٠% | ( – ) | (٤٨٠٠) ٥و٤% | (٤١٠٠) ٨و٣% | (١٠٠٠) ٠و٩٤% | ١٠٦٠٠٠ |
| كركوك (٨٥٠٠٠) ٩٢% | (٥٠٠٠) ٤و٥% | (١٤٠٠) ٥و١% | (٦٠٠) ٠و٦٥% | – – | ٩٢٠٠٠ |
| السليمانية (١٥٣٩٠٠) ٩٩% | ( – ) | (١٠٠٠) ٦و٠% | (١٠٠) ٠و٠٦% | – – | ١٥٥٠٠٠ |
| المجموع ١١٤٦٦٨٥ | ١٤٩٤٠١ ٥ | ٨٧٤٨٨ | ٨١٢٩٢ | ٤٢٣٠٢ | ٢٨٥١٩٨ ٢ |
| النسبة ٢و٤٠ % | ٣و٥٢ % | ٣و٠ % | ٢و٨ % | ١و٤ % | |

كان ثلاثة أرباع سكان العراق في بداية القرن العشرين يمثلون سكان الارياف و الربع المتبقي يسكن المدن ( ٢١) ، إذن من الناحية الواقعية يقسم سكان العراق إلى حضريين و ريفيين و كان هؤلاء يختلفون عن بعضهم بطرق كثيرة اذ كانت حياة الحضريين تخضع بشكل عام للقوانين الإسلامية و العثمانية، أما حياة الريفيين فكانت تخضع للأعراف و للعادات و التقاليد العشائرية القديمة ذات الصبغة الإسلامية وكان السكان الحضريون في اغلب مدن العراق تحكمهم العلاقات شبه الأرستقراطية، و كانوا يشتهرون بأسماء العائلات على الرغم من ارتباط اغلبهم بعشائرهم (٢٢)، وهذا نابع كما يبدو من تأثرهم ولاسيما المتعلمون منهم بالثقافة التركية و الفارسية، أما الريفيون فقد تخلصوا من هذه التأثيرات كلياً و كانت المواقع الطبقية قد تطورت بقوة إلى حد ما بين الحضريين، أما بين رجال العشائر فمازالت أبوية الطابع(٢٣).

مما تقدم نستنتج إن سكان المدن كانوا على وعي كبير بإسلامهم، بينما لم يكن شعور عرب العشائر اتجاه الإسلام بهذه القوة، فمثلاً عندما كانت العشائر تقيم تجمعاً في المناسبات كان لأهازيجها في الغالب شعارات علمانية _عشائرية عربية_، في حين أن جماهير المدن كانت تسير بصورة أكثر وراء صيحات الدين (٢٤).

وبناء على ما تقدم يجب علينا ان لا نشدد على التناقض بين سكان الحضر و سكان العشائر و ذلك لأنه لا يمكننا أن ننسى أن الكثير من سكان المدن كانوا حتى وقت قريب من أصل عشائري نسبياً، و حتى اليوم ما زال عدد كبير من سكان بغداد مثلاً يتذكر اسم القبيلة التي ينحدر منها (٢٥).

كانت الأرياف هي الخزان الذي يزود المدن بالسكان ولاسيما بعد تعرض المدن للكوارث (٢٦) و كان المهاجرون العشائريون يشكلون بطريقة ما، حلقة وصل بين المجتمعين المنفصلين، و على العموم فان هؤلاء المهاجرين كانوا ما إن يصلوا إلى المدينة حتى يبدأوا بالخضوع طبيعياً و تدريجياً لتأثيرات الحضر (٢٧).

و على الرغم من أن العشائر كانت تخضع لقواعد متشابهة و لها مؤسسات متشابهة فإن الغزوات و الغارات المتبادلة كانت هي السائدة إلى _حد غير قليل_ في العلاقة فيما بينها

و كانت العشائر تقسم إلى (( فلح )) فلاحون و معدان (( سكان الاهوار )) و شاوية (( رعاة غنم )) و أهل الابل و هذه الفئة الأخيرة كانت تشكل الأرستقراطية العشائرية _إذا جاز التعبير_ و كان هؤلاء يزدرون ويحتقرون العشائر الأخرى ويرفضون التآخي أو التزاوج معها ( ٢٨).

وفيما يأتي ابرز عشائر العراق و مواطن سكناها (٢٩)

أولاً: العشائر العربية

تقسم العشائر العربية إلى قسمين من ناحية الاستقرار:- هي العشائر الرحالة (البدو)(٣٠)، و العشائر المستقرة (٣١) ففي بغداد تقطن قبائل مختلفة أهمها الصايح (٣٢) و العبيد و العزه و خزرج و البو هيازع و الجبور و السوامرة و زوبع و بنو تميم و البو عامر والدليم و المشاهدة و القرطان و الجعيفر و العكيدات و العزير و البو محي و القراغول والانباريون (٣٣)، أما في الحلة فان القبائل الرئيسة هي البو سلطان و الياسر والجحيشوالجبور و آل فتله و خفاجة و بنو حسن و المعامرة و الجنابيون و البو عامر و آل مسعود و بنو سعيد(٣٤) و في كربلاء يسكن المسعود و الزقاريط و اليسار و الوزون و السلالمة و الطهامزة و العامرية (٣٥)، و في الديوانية تسكن قبائل بنو حجيم و آل ازيرج و بنو عارض و عفك والاقرع و آل بدير، و الخزاعل و آل فتلة و آل شبل و آل زيارة و بنو حسن و كعب والحميدات و العوابد و آل علي و الكرد، و الغزالات و آل شبل و آل إبراهيم و العبودة والسعيد، أما المنتفك (الناصرية) فتضم ثلاث اتحادات قبلية هي بنو مالك و بنو سعيد والاجود فضلاً عن قبائل أخرى متحالفة مع الاجود أهمها العبودة و آل حميد خفاجة و آل غزي و البو سعيد فضلاً عن بني أسد و بني طبكان و السعدون (٣٦)، و في البصرة تسكن قبائل ربيعة و الشراري و بنو منصور و الحلاف و البو بخيت و البو غريب و الشفانية والسواعد و البرهية و الإمارة و العوامر و الحجام و المطور و كنعان و الغانم و البو فرحان والدواسر و الكطارنة و العطب و العيدان و الحلاف و بنو مالك و المياح و بني أسد والصلبة و الشريفات وعبود و خفاجة (٣٧)، و في العمارة تسكن مجموعة من القبائل اهمها البو

محمد و بنولام و الازيرج و البو دراج و السودان و السراي و السواعد و البهادل و بنو سلامة (٣٨).

وفي ديالى تسكن قبائل المجمع و زبيد و الدهالكة و العكوك و الكرخية و الزهيرية و الخشلات و بنو تميم و الدانية و خفاجة و الدليفية و بنو لام و بنو زيد و الصميدع و ربيعة و بني ويس و الجبور و الكروية و العزة و العبيد و العنبكية و الجيابلية و الطاهرات و الصايح و البيات و الدليم و الكرطان و المعامرة و بني سعد و جداوة و اليلاخ و البو هيازع و البو عكلة و البو سلطان (٣٩).

أما كركوك فيسكنها العبيد و الجبور و الجحيش و البو حمدان و النعيم و الكروية وحرب و بنو زيد و العزة و السعيدان و الصايح والبيات (٤٠).

و في اربيل يسكن الجبور و طي و بعض من قبائل النعيم (٤١).

اما في الموصل فيسكن الجبور والجميلة والسبعاويون واللهيب والبو حمدان والمعامرة والحمدون و الحديديون والعكيدات والبو بدران و البو جواري و العبيد و النعيم والعزة والراشد والبو متيوت والميران والجرجرية (٤٢).

أما لواء الدليم فيسكنه الدليم و زوبع و العكيدات و المعاضيد و المشاهده وغيرهم.

## ثانياً: العشائر الكردية (٤٣)

تسكن في لواء السليمانية ثلاث قبائل رئيسة هما الجاف و البشدر الهماوند فضلاً عن عشائر أخرى هي إسماعيل عزيزي و جنكي و الهورمان هورامي (٤٤)، أما في اربيل فتقطن قبائل دزه ئي و كردي و ماوندو شيح و ماموندوشيحاني و شيخ بزين و خوشناو و زراري وحركي و خيلاني و بالكي و شيروان و سروجي و بزدوست و منكور و متده مرة و بالك بولي وبايولي و باله كي وبلباس و اكو (٤٥).

و في الموصل تنتشر قبائل الزيبار و بارزان و هركي و السورجيه و شارك و الزنكنه وفي دهوك تسكن الدوسكي و السليفاني و كروان و الممووري و درشيفي و بتاني و هاجان وبرواري بالا و برواري زير و بزوه و ريكان و حيفة و دوسكي بالا و السندي و الكلي (٤٦).

اما في كركوك فتقطن قبائل الجاف و الكاكي و الداودية و الصالحية و شوان و شيخ بزيني و الهماوند و الجباري و الدلو و الشيخاني و الزنكنه و الزند وروزبياني و بلاني و كيج و لك و الوندانية (٤٧) أما في ديالى فيسكن السورة ملي و الجاف و اركوازيه و الطالبانية و باجلان و برزنجه و الطائية و اشرف بيانه و الكاكائية و الزنكنه و الزنكنه الفيلية(٤٨).

ثالثاً: العشائر التركمانية

وعلى الرغم من أن التنظيم العشائري عند التركمان ضعيف جداً (٤٩) لكونهم يعيشون حياة المدن ولاسيما في كركوك التي تحكمها العلاقات شبه الأرستقراطية (٥٠) إلا أن التركمان ينتمون إلى مجموعة من العشائر أبرزها عشيرة البيات و علي خان بك و البيرندر (٥١) و الهمات و الفرحات و البندر و الجابر و الدلالوة و العسافي و قره اولوس و حتلان والجليلي و ايلخانلي و الدميرجي و الشيخل و صفوك و حسكلي و المرادلي و السرايلية والطاطران و قره قوينلو و الصاريليه(٥٢)، و قنبر اغا و بنج علي و شاه سيوان و مراعة وكلبان و اليعقوبية و الدافرة و الوندواوي و سيدلر و العقابلية و الجيجان (٥٣) و هم يسكنون في تلعفر و اربيل و الموصل و كركوك و داقوق و طوز خورماتو و قره تبه و كفري و كوبري(٥٤).

رابعاً: الأيزيدية

يقيم الايزيدية (٥٥) في منطقتي الشيخان و سنجار في الموصل، يقسم الايزيدية في جبل سنجار إلى قسمين هما الحوزكان و الجوانا و عشائر الحوزكان هم ميزان و سحوقة و هسكان و آل دقي و حلكا و رشكان و شريقات، اما الجوانا فينتظمون في عشائر ثلاث مهمة هي الهبابان و المهركان و ملا خالتا (بيت خالد)(٥٦).

لجميع هذه العشائر ارض تسكنها تسمى (الديرة)(٥٧) يرأسها شيخ ينتقل الحكم من بعده إلى أحد ابنائه أو أشقائه أو أبناء أخيه(٥٨) أو أي أحد من أفراد عائلته، و تعتمد العشائر المستقرة في حياتها الاقتصادية على الزراعة و تربية المواشي و تقيم في بيوت أو أكواخ من الطين و الأشجار أو القصب أما العشائر البدوية فتمتاز حياتها بالبساطة و عيشها يقوم على

تربيـة المواشـي،و تسـكن الخيـام التـي تعتمـد بالدرجـة الأسـاس علـى الصـوف و الشـعر و الوبر(٥٩).

تقسم القبائل الكبيرة إلى عشائر و العشائر إلى بطون و أفخاذ و تشتمل على مجاميع من العوائل تسمى حمولة و يترأس العشيرة شيخ و يرأس الحمولة رئيس و يمارس الشيخ سلطة أبوية واسعة على العشيرة بالاشتراك مع مجلس عشائري يتألف من كبار السن و البارزين في العشيرة و أسرة الشيخ(٦٠)، و لمعظم العشائر العراقية مضايف تبنى من الطين أو الآجر و تُعمل سقوفها من جذوع النخيل أو القصب و بعضها يكون من وبر الإبل أو شعر الماعز، و في هذه المضايف يستقبل الشيوخ زوارهم و تعقد في هذه المضايف لقاءات دائمة للتداول في شؤون العشيرة(٦١).

يلحق بالمشيخة وظيفة (الحوشية) وهم حراس الشيخ ومنفذو اوامره ومطبقو ارادته واحكامه على افراد العشيرة في بعض الحالات، وهناك وكلاء يسمون بـ(الملا) ممن له إلمام بالقراءة والكتابة لكي يحسنوا مهمة اتصال الشيخ بالحكومة ويقرأوا على الشيخ تعليماتها وتبليغاتها فيما يتعلق بالأمن والتعاون أو مسائل الأراضي و الضرائب(٦٢)، وفي بعض القرى العشائرية شخصية ذات سلطة نظامية بدرجة أو بأخرى يسمى (المؤمن) و هو رجل يكون في العادة متخرجاً في مدرسة دينية و يعمل وكيلاً للمجتهد الأكبر في النجف و كان بعض المؤمنين و لاسيما الجوالون منهم، (مخادعون) يعيشون على حساب الفلاحين(٦٣)، و كذلك هناك العارفة و الذي يعد ثاني أهم شخصية عشائرية في بعض المناطق كونه يلم بالتقاليد العشائرية و الدينية _نوعاً ما_ و يساعد على فض النزاعات(٦٤).

تحكم العشائر أعراف غير مدونة و تنظم هذه الأعراف شؤون أفراد العشيرة و علاقتهم مع بعضهم سواء أكانوا من العشيرة نفسها أم من خارجها وتلك الأعراف يسميها أفراد العشائر بـ (السواني) و أبرزها الحماية و العرض و حق الضعيف (٦٥) و الالتجاء و الوجه و التيار (٦٦).

كان الشيخ يملك اغلب أراضي العشيرة و تقسم إلى عدد من الوحدات تسمى الواحدة منها (شبه) و تختلف مساحتها بين منطقة و أخرى، و كان لكل (شبه) (سركال)(٦٧)،

و كانت مهمة السركال هي الأشراف على الزراعة، و لكنه يعمل أحيانا في الأرض جنباً إلى جنب مع الفلاحين، وغالباً ما كان هؤلاء رؤساء فروع عشائرية أما أن يستأجروا الأرض من الشيخ و يستغلونها بشكل مستقل نوعاً ما، أو كانوا يعملون وكلاء للشيخ مقابل حصه من الإنتاج(٦٨)، و إذا كانت الوحدة الفعلية في الريف العشائري العربي هي المقاطعة القائمة على الأساس العشائري، فإنها في الحزام الكردي كانت القرية، أو أل(قند)التي كانت تتجمع في العادة حول أحد مصادر المياه، و من نافلة القول أن الاغوات العشائريين الأكراد الأكثر ثراء كانوا يملكون قرى عدة مثل المشايخ العرب، فان مناصبهم لم تكن تنتقل دوماً إلى الابن الأول أو البكر على الرغم من إنها كانت وراثية.

مما تقدم يتبين لنا أن الاغوات مثل اكبر المشايخ العرب، كانت لديهم بيوت ضيافة تسمى أل(ديوان خانه)، و صانع القهوة أل(قهوجي) و اتباعهم الذين يسمون (بيشتمالا) و تعني حرفياً (دعامة البيت)، و في بعض الحالات كان بيت رئيس العشيرة الكردي يضم خدماً يسمى الواحد منهم (خلام)(٦٩) يتميزون عن الخدم العاديين الذين يرافقونه عندما يخرج راكباً و الذي يسمى الواحد منهم (ظلام) (٧٠). و لم تكن قرى الاغوات تفتقر إلى (الملا) و هو امام الجامع، و الدراويش، و هنا كما في مقاطعات المشايخ العربية، كان الرجال المسؤولون مباشرة عن الزراعة هم (السركال) أو (الكوخا) أي رؤساء الفلاحين، أو رؤساء المساكين، ويكون للكوخا او السركال اكبر حظوة عند الشيخ عندما يكون انتاجه اكثر، ويعتبرون الممثلون الحقيقيون للمصالح الزراعية(٧١).

أما المدن فتسكنها اسر تحكمها علاقات أرستقراطية كما ذكرنا ولاسيما في أربع مدن رئيسة من العراق هي بغداد و الموصل و البصرة و كركوك التي تعتمد في معيشتها على التجارة و النشاط الحرفي و بعض هذه الأسر اخذ اسم الحرفة التي يمتهنها مثل الدباغ و النجار و الحداد و العلاف و الطوبجي و غيرها، و بعضها يملك الاراضي الزراعية في الأرياف يديرها بواسطة وكلائه، أما البعض الآخر من سكان المدن فهم سكان قليلون جاءوا عن طريق الهجرة هرباً من اضطهاد الشيوخ لهم بعد أن تحول الشيوخ إلى ملاكين للأرض بعد عام ١٨٧٠م(٧٢).

اذ سكن في بغداد على سبيل المثال بعض الأسر مثل الكيلاني و الجميل و السويدي و الحيدري و السنوي و الطبقجلي و الشاوي و الشواف و الداوود و الزهاوي و الربيعي و بابان و الجادرجي و السليمان بيك و الخضيري و الباجه جي والاورفلي و كبه و عطا و الحيدري و الخاصكي و جلال الشرشفجي و الخالصي و الصدر(٧٣).

اما في الموصل فسكنت اسر أخرى هي العمري و الجليلي و الفخري و النقيب و الصائغ و العلاف و غيرها و في البصرة سكن الشاوي و المنديل و الصانع و النقيب و باش أعيان و السعدون و غيرها(٧٤)، و في كركوك سكنت اسرة النفطجي زادة و الطالبان و أسرة احمد خانقاه و القاضي وبير قدار و النقيب و اليعقوبي و الاوجي و الواعظ و غيرها(٧٥).

## طرق الحكم و الإدارة

كان العراق في بداية القرن العشرين يقسم على ثلاث ولايات هي بغداد، الموصل، البصرة _كما ذكرنا انفاً_ و كل ولاية من هذه الولايات تنقسم على عدد من السناجق و هذه بدورها إلى اقضية والاقضية إلى نواح، و يقف الوالي على راس الولاية و يخضع للسلطة المركزية أما السناجق فيديرها المتصرفون، في حين يدير الاقضية القائم مقامون ، و النواحي يديرها مدراء النواحي، و يؤلف المختار (عمدة القرية) الحلقة الأخيرة في سلسلة الإدارة الطويلة في الولاية (٧٦).

تتألف الهيئة المهيمنة على إدارة الولاية من نائب الوالي او الكهيه والخزنه دار وهو مسؤول الشؤون المالية والمكتوبجي الذي يراس مكتب التحريرات و ترجمان الولاية المسؤول عن العلاقات مع القناصل الأجانب، ثم موظفي الدرجة الثانية الذين يصرفون شؤون الأوقاف و طرق المواصلات و شؤون القضاء و رؤساء الشرطة و البريد و التلغراف و مفتشي التجارة و الزراعة و فضلاً عن ذلك فقد كان هناك مجلس دائم يتمتع بصلاحيات استشارية ينظر في جميع قضايا الولاية ويضم هذا المجلس، نائب الوالي و الدفتر دار و المكتوبجي و المفتي و كذلك ممثلين عن الطوائف غير الإسلامية و يشابه الهيكل الإداري في السناجق ما هو عليه في الولاية(٧٧).

كان يدير الولايات العراقية الثلاث عدد من الموظفين غالبيتهم من الأتراك العثمانيين ويعيّنون من اسطنبول(٧٨)، لكن بُعد العراق عن عاصمة الدولة و تخلفه في ذلك الوقت و مناخه القاسي جعل العراق مكاناً غير جاذب للموظفين ونتيجة لذلك كانت نوعية الموظفين رديئة وكانت اسطنبول تهمل أمرهم،ومما يميز الإدارة العثمانية في العراق الضعف و القساوة و عدم الكفاءة(٧٩).

ساعد بعد المدن عن مركز العاصمة مع سوء المواصلات و مع الطبيعة الصعبة للمنطقة _على الأقل إلى أواسط القرن التاسع عشر_ على عدم بسط سلطان الحكومة المركزية العثمانية كثيراً خارج حدود المدن، التي أنشأت قربها حاميات عسكرية، إلا نادراً و تبعاً لذلك استطاع رجال القبائل العربية في الصحراء و سكان مناطق الاهوار و الأكراد القاطنون في الجبال يوفّقوا عموماً في صد اختراق قوات الحكومة المركزية لمناطقهم إلى درجة جيدة _نوعاً ما_ و لحين فرض الانتداب البريطاني على العراق في عام ١٩٢٠م (٨٠).

لقد كان لسوء المواصلات و البعد عن مركز العاصمة و الإدارة السيئة نتائج خطيرة على المجتمع العراقي أهمها:

أولاً: خلق هذا البعد انعدام الاحساس بان الولايات الثلاث تشكل وحدة جغرافية سياسية و اقتصادية على العكس من مصر و سوريا، إذ كانت البصرة و لحين افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩م على الأقل، متجهه نحو الخليج العربي و الهند و كانت بغداد محطة على الطريق بين سوريا و إيران أما الموصل فاتجهت نحو إرساء روابط اقتصادية أوثق مع حلب اكثر من تلك الروابط مع بغداد (٨١)، بل كان من المألوف تشخيص الأفراد بان هذا بغدادي و هذا بصراوي و هذا موصلي بدلاً عن عراقي لان كلمة عراقي ليس لها معنى محدداً في ذلك الوقت على الرغم من استعمال كلمة الخطة العراقية(٨٢)، و بسبب ذلك عانت المملكة العراقية كثيراً في بداية تأسيسها عام ١٩٢١م من هذا الوضع لذا نستطيع القول إن الملك فيصل الأول(١٩٢١-١٩٣٣) و على الرغم من أن مملكته تمت صناعتها بأقلام و قوة بريطانية إلا انه يعد بحق مهندس الوحدة الوطنية للعراق، و استطاع بإمكاناته الذاتية من تحقيق الدمج النسبي لهذه المناطق الثلاث و عالج اغلب المشاكل على الرغم من إن الدستور العراقي لسنة

١٩٢٥م لم يعالج مشكلة الاقليات إلا أن الملك فيصل عالجها بحكمة و تروٍ ردحاً من الزمن و لم تثار في العراق طوال مده حكمه أية مشاكل طائفية أو عرقية باستثناء بعض المشاكل البسيطة التي لا تتلاءم و حجم التناقض في المجتمع العراقي (٨٣) التي استمرت حتى عام ١٩٣٣م(٨٤).

شاع استخدام مصطلح (العراقي) في أوائل القرن العشرين و تحديداً بعد عام ١٩٢٦م بعد أن أقرت عصبة الأمم إلحاق ولاية الموصل ببغداد و البصرة و لم يكن هناك حتى ذلك الحين مجتمع متماسك طبيعي، بأي شكل من الأشكال(٨٥) يمكن تشخيصه بأنه مجتمع عراقي، و استمرت الإشارة طويلاً إلى الأفراد على انهم إما رعايا عثمانيين أو أفراد من الطائفة الشيعية أو من أبناء العشائر أو حتى حضري شيعي أو عشائري شيعي، لان الدين لم يكن كافياً لتوحيدهم (٨٦).

ثانياً: خلق هذا الحال (أي البعد عن مركز العاصمة) تأثيرات كبيرة على المجتمع ولاسيما على إيجاد مفاهيم جديدة سيئة للوظيفة علقت في ذهن الإنسان العراقي لحد هذه اللحظة فعلى الرغم مما حققته الدولة العثمانية من توسع في الشرق والغرب وظهور بعض السلاطين العثمانيين العظام و الكثير من الساسة الدهاة فيها فأنها دولة إقطاعية كانت تقوم على اخذ الخوة من دون أن تقدم ابسط الخدمات، أي أننا نستطيع أن نصنفها في القرنيين الأخيرين من عمرها بأنها دولة ضريبية.(٨٧)

كان الحكم العثماني في العراق كما في غيره من الأقاليم هامشياً و اعتباطياً، فلم يكن ينظر إليه إلا على انه مورد مالي خصب لخزينة السلطان، وخزائن من كان يتعاقب على حكم العراق من الولاة الذين يمكثون فيه وقتاً قصيراً، و يجمعون منه مالاً وفيراً ليلاقوا بعد ذلك مصيرهم، و هو القتل أو السجن، أو مصادرة الأموال او النقل الى مكان اخر.(٨٨)

كانت (الخطة العراقية) و هو ما يطلقه العثمانيون على مجموع الولايات العراقية تدار من العاصمة العثمانية(اسطنبول) مباشرة، فتُعين لها الولاة والموظفين الأتراك العثمانيين، و الحاشية التركية فيعودون إلى مراكز ولاياتهم بالبهاء و العنعنة التركية و يديرون شؤونها بترفع و تعالٍ و يعاملون سكانها معاملة الأسياد للعبيد مما طبع في أذهان السكان أن الوظيفة شرف و

رفعة و ليست خدمة أو كما يقولون (تشريف لا تكليف) فلما آل حكم البلاد إلى أبنائها انعكست هذه الفكرة على أذهانهم و تصرفاهم، و كان هذا أول المفاهيم الإدارية السيئة التي تركها العثمانيون في البلاد، و لما سرى الضعف و الوهن في جسم الدولة العثمانية في القرنين الأخيرين من حياتها، انتشر التفسخ و الفساد في إدارتها و شاعت الرشوة و الارتشاء التى كادت ان تصبح أمراً مشروعاً، بل و واجباً و ضرورة، و صار الموظف المرتشي شخصاً محترماً مرموقاً يزداد احترامه كلما زاد ما يمتلكه من مال و عقار، و صار الموظف النزيه موضع النقمة من أصحاب المصالح، وموضع الزراية و الاستخفاف من رفاقه و من المجتمع عامة (٨٩).

انتقلت هذه المساوئ من العاصمة إلى الأقاليم فطبقها الولاة، و أفراد حاشيتهم أسوء تطبيق، فاستقر في نفوس السكان أن الوظيفة ليست شرفاً بل وجاهة و سيادة ، ومما يضاف الى ذلك ان الوظيفة صارت تمثل مورداً للمال و مصدراً للإثراء – مشروعاً أم غير مشروع –وهذا ثاني المفاهيم الإدارية السيئة التي ما تزال تمثل بصمة بارزة تطبع نظمنا الإدارية و لأن الوظيفة مصدر الحياة و السيادة، فيجب أن يكون لكل موظف و في أي مستوى كان طبقة من الحاشية تحيط به و ترفه عنه و ترفع عنه مشقة العمل، فيحيط بالوالي الكهية و رئيس الكتاب و الدفتر دار وغيرهم و تحيط بكل واحد من هؤلاء حاشية خاصة به، و يحيط بكل فرد من أفراد الحاشية تابعون آخرون (٩٠).

ولان الوظيفة مصدر السيادة و الشرف و الجاه و الغنى، لذا لا يليق بصاحبها _مهما كانت مكانته_ أن ينزل من علياء العمل و الخدمة، و إذا كان هناك من عمل ينجز فيجب أن يمر على هؤلاء الاتباع للدراسة واتخاذ القرار، فيطول الأمد و تتعدد الآراء و تضيع الأمور و تنتشر الرشوة في البلاد، وهذه هي البيروقراطية الشرقية التي ما زلنا نعاني منها الأمرين، و التي كانت السبب في انتشار الوهن و الفساد في المرافق العامة و الأجهزة الإدارية و في تعسف الحكام بالرعية، فصار لهم الأمرو الغنم و عليها _الرعية_ الطاعة، و كان كل هذا هو الطريق الواسع و العريض للدكتاتورية و الاستبداد.(٩١)

كان الفرد العراقي _بشكل عام_ في الحقبة الأخيرة من الحكم العثماني يعاني الجوع و الإذلال و قد أنهكته الحروب و أرهقته أعمال السخرة، و أفقره دفع الضرائب و الرشاوى و

الاتاوات و أوهنت قواه ظروف الحياة و ويلات الولاة، فمن حرب إلى حصار الى احتلال إلى ثورة الى فيضان مدمر أو وباء قاتل، و وجد أن الدولة لا تريد أو لا تستطيع أن توفر له الأمن و الاستقرار، لذا مضى يفتش عمن يلجا إليه و يحميه، و قد وجد الحماية في التجمعات القبلية، فأحاط بشيخ القبيلة و ظهرت القبائل قوة سياسية جديدة في البلاد كبر شانها على مر الأيام و نافست السلطة(٩٢)، لذا حاولت السلطة السيطرة على هذه التجمعات القبلية تارة بالقوة و تارة بوسائل أخرى فقد حاولت الحصول على تعاون شيوخ البدو بعرض المغريات المالية عليهم على شكل معونات و منح لقاء وعد بإيقاف الغزو وكلفتهم بحماية خطوط المواصلات عبر الصحراء و حاولت فضلاً عن ذلك استدراج الشيوخ الرئيسيين، مثل فهد الهذال، شيخ عشيرة عنزة إلى دخول الحكومة(٩٣).

لكن اكثر الإجراءات فاعلية هي محاولة تحويل الشيوخ إلى ملاكين للأراضي الزراعية و بذا تم إقناعهم على العيش بطريقة مستقرة بدلاً عن حياة التنقل وراء الماء و الكلأ وما فيها من صعوبات، فنّصب الشيخ فرحان الجربا شيخ عشيرة شمر ملاكاً في الجزيرة قرب الشرقاط في ولاية الموصل، و تملّك الهذال الأراضي قرب كربلاء حيث انقلب أبناء عشيرة الزكاريط إلى فلاحين(٩٤)، و أخيراً حاولت الحكومة العثمانية إضعاف الوحدة العشائرية بمحاباة شيخ على آخر فقد عُزل شيخ عشيرة عنزة في ١٨٩٠م و نودي بعجيل بن راكان من قبل العثمانيين شيخاً جديداً مما أدى إلى حدوث انقسام في العشيرة(٩٥)، و قد خلقت هذه الحالات انحلالاً تدريجاً للنظام العشائري الأبوي.

إن الانحلال الجزئي للعشائر الرحالة الذي سعت من أجلة السلطات العثمانية يشير إلى بداية ظهور التركيب الجديد في المراتب السياسية و الاقتصادية داخل العشائر الرحالة فالشيوخ و عوائلهم اكتسبوا مقاماً سياسياً و اقتصادياً جديداً إزاء أفراد العشائر و كان بوسع الشيوخ _ بمساعدة الحكومة_ التخلي عن دورهم كمحاربين و تحويل أفراد عشائرهم إلى فلاحين وتحولهم الى ملاكين، و حتى الاحتلال البريطاني الأول للعراق ظلت أغلبية العشائر الرحالة الباقية محافظة على تضامنها العشائري التقليدي و على استقلالها عن السلطة المركزية(٩٦)، كما وان البريطانيين تعاملوا مع العشائر بقانون يختلف عن القانون العام و هو

قانون دعاوى العشائر الذي كرس التقاليد العشائرية وظل العراق يحكم عملياً بقانونين الاول للمدن و الثاني للعشائر حتى عام ١٩٥٨ م.

دفع هذا التقييم الخاطئ من قبل السلطة العثمانية لحالة سكان العراق الذي كان اغلبه عشائري إلى السخط و القلق و التربص و الحقد و العداء و هذا ما دفع القبائل العراقية عربية كانت أم كردية إلى الثورات المتعاقبة و العصيان المستمر تعبيراً عن استيائها وسوء الاحوال، و لم يكن رد الحكام دراسة الدوافع و الأسباب و محاولة الإصلاح و البناء، و إنما كان ردهم الدائم هو الردع العسكري، الفاشل عسكرياً _في اغلب الأحيان_ و الفاشل سياسياً في كل الأحيان.

لم يقتصر الأمر على ذلك فقط و إنما أضاف العثمانيون إلى تسيبهم الإداري تعصبهم الطائفي، لانهم اختاروا المذهب الحنفي(٩٧) السني، مذهباً لهم من بين المذاهب الإسلامية و قد اضفت عليهم وثيتهم السابقة الكثير من الشعائر و المفاهيم، و منها التضييق على من يخالفهم الرأي و العقيدة، مما أدى بهم إلى النفرة من المذاهب الاسلامية السنية الأخرى و إلى عدائهم الشديد للمذهب الجعفري الذي يعتنقه بعض أهل العراق ولاسيما بعض القبائل العربية اذ نظرت السلطات العثمانية إلى الشيعة من رعاياها نظرتها إلى غير المسلمين، و نظر الشيعة إليها نظرتهم إلى غاصب لا تحل خدمته و لا قبض ماله و لا دفع الزكاة أو الضريبة إليه، و هي نظرتهم نفسها إلى كل حكومة أخرى اللهم إلا اذا كانت تمثل حكومة الإمام، فزاد هذا الوضع الطائفية المذهبية التاريخية في البلاد حدة على حدتها السابقة، و أمد نارها اللاهبة منذ قرون زيتاً جديداً لا ينقضي و لا ينضب، فاشعل أوارها و زاد لهيبها و زاد من ضحاياها.

كان قدر العراق أن تسكن إلى شرقه شعوب فارسية استطاعت، بعد جهد و طول معاناة أن تكوّن لنفسها دولة، و أن تتخذ من الشيعة الأمامية مذهباً لها، و أن تنظر إلى بلاد الرافدين نظرة طمع و اشتهاء، و أن يقابل العثمانيون وجود هذه الدولة بالنفرة و الاستياء و بالرغبة في الاستيلاء على أرضها و محقها، و قد أدت المشاعر السنية و الشيعية و المصالح السياسية إلى بقاء نار الحرب مشتعلة مستمرة بين الدولتين، تتداولان فيها النصر و الهزيمة و التقدم و التقهقر في ارض هذه الدولة أو تلك، فتتغير الحدود ثم لا تلبث الحرب أن تقوم

لتغيرها من جديد، و كان هذا هو السبب في تعرج الحدود و عدم استقامتها بين دولتي العراق الحديث و إيران، دفع حال الحرب و البغض هذا و اشتداد حدة المشاعر الطائفية بفئات قليلة من العراقيين، و أكثرهم عرب اقحاح الى نبذ التبعية العثمانية للتخلص من الخدمة العسكرية فيها و دفع الضرائب لدولة لا تعترف بهم مواطنين صالحين و لا يعترفون هم بها حكومة شرعية واجبة الطاعة و الولاء، ثم الانحياز إلى دولة الفرس و الدخول في تبعيتها ما دامت تعترف بهم و يعترفون بشرعيتها و وجوب الطاعة و الولاء لها، بصرف النظر عن طبيعة هذا الادعاء و مصدره و صورته، وعلى الرغم من عودة هذه الفئات إلى وطنها حال زوال الحكم العثماني عنه(٩٨) فقد بقي لديهم في اللاوعي نوع من الولاء تجاه إيران و ظل لدى الطبقة الحاكمة نوع من نظرة الشك و الريبة تجاه هؤلاء المواطنين العرب الشيعة.

ثالثاً: أدى ضعف الاتصال بسلطة المركز و رداءة المواصلات إلى اقتصار الاوامر السلطانية على داخل المدن الأساسية، و كانت نادراً ما تصل إلى خارج المدن(٩٩)، ادى ذلك الوضع إلى تحول عدد كبير من القبائل العراقية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي ولا يوجد لدينا دليل قاطع يشير إلى أن الشيعة اقتربوا ذات يوم من تشكيل أكثرية السكان في العراق قبل القرن التاسع عشر بل و حتى القرن العشرين و على الرغم من أن التشيع حدث في العراق طيلة التاريخ الشيعي فانه كان يقتصر بالدرجة الرئيسة على المدن التي لم يكن يقنطها إلا قسم قليل من السكان و من حين إلى آخر.

كانت بعض العشائر العربية تميل إلى قبول المذهب الشيعي مثل بني سلامة و الطائيين و السودان في الاهوار القريبة من عربستان خلال سلالة حكم الإمارة المشعشعية(١٠٠) العربية في القرنين الخامس عشر و السادس عشر(١٠١)، و لم ترتفع نسبة الشيعة إلى مستوياتها التي انحدرت اليها في عام ١٩١٩م و ١٩٣٢م بحدود ٥٢% و٥٥% من السكان على التوالي،إلا بعد تشيع القسم الأعظم من عشائر العراق العربية السنية، على نطاق واسع خلال القرن التاسع عشر(١٠٢).

كانت العشائر العربية و لا تزال تشكل القسم الأكبر من السكان في جنوب و وسط العراق خلال الحكم العثماني، اذ كان العرب الرّحّل وحدهم يشكلون نصف السكان في الجنوب حتى وقت متأخر من عام ١٨٦٧م و لغاية القرن التاسع عشر كانت عشائر العراق منظمة في اتحادات كل يعمل فيها كوحدة سياسية مستقلة وجد أساساً ضد تهديدات الاتحادات العشائرية الأخرى، و كانت هذه الاتحادات تقاتل من اجل الأرض و طرق التجارة بقيادة شيوخها، و قد عززت الحملات التي كانت تجريها الحكومة ضد العشائر، روح الجماعة لدى هذه الاتحادات فزادت في تميز أحدها عن الآخر.

كان اقدم الاتحادات العشائرية في جنوب العراق و وسطه خلال الحقبة العثمانية، المنتفق و الزبيد و الدليم و العبيد و الخزاعل و بنو لام و البو محمد و ربيعة و كعب، و كانت العشائر التي تؤلف هذه الاتحادات تتكون من مربي الإبل و الأغنام و الزراع و سكان الاهوار من مربي الجاموس، و لكن هذه التقسيمات لم تكن واضحة بصورة دائمة و غالباً ما كان يحدث اندماج بين المجموعات المختلفة من هذه العشائر(١٠٣).

نزح العديد من العشائر العربية إلى العراق من الجزيرة العربية في حقب مختلفة، مثل المنتفك و الزبيد و الدليم و البو محمد و ربيعة و كعب و العبيد و الخزاعل و بني لام و شمّر، لكن خارطة العراق العشائرية لم تستقر على شكلها النهائي إلا في القرن التاسع عشر(١٠٤) و قد بدأت القبائل العراقية بالتشيّع على مراحل مختلفة فتشيعت قبائل الخزاعل و بن كعب في أوائل و منتصف القرن الثامن عشر وتشيعت كل من الزبيد و بنو لام و البو محمد خلال القرن التاسع عشر و كذلك فروع كبيرة من ربيعة منها (بنو عامر والجعيفر) و بنو تميم بما فيهم اكبر فروعهم في العراق و هم بني سعده و الشمر طوقة و الدوار و السواكن و آل اقرع و البدير و عفك و الجبور و الشليحات و العبيد و اتحاد المنتفق الذي تشيّع كله تقريباً في القرن التاسع عشر باستثناء شيوخه من عائلة السعدون، و في اغلب الاحيان لم يكن التشيّع كاملاً(١٠٥).

كانت هناك تطورات كبيرة تقف وراء تشيع العشائر بسرعة في وقت متأخر نسبياً ولعل ابرز اسباب هذه العملية اولاً: هجمات الوهابيين السعوديين على النجف و كربلاء و ظهور هاتين المدينتين بوصفهما مدينتي السوق الصحراوية الرئيسيتن في العراق، وثانياً سياسة

العثمانيين في التوطين التي بدأت في عام ١٨٣١م، و كان انتقال العشائر من حياة الترحال إلى النشاط الزراعي قد عطل النظام العشائري و خلق أزمة كبيرة بين رجال العشائر أجبرتهم على إعادة بناء هويتهم و إعادة تحديد موقعهم على الخارطة الدينية – الاجتماعية للبيئة المحيطة بهم،و مما سهل تشيعهم انتشار السادة المنحدرين من نسب الرسول (صلى الله علية وسلم) الذين خففوا من وطأة تفكك النظام العشائري في العراق و كانت ظاهرة التشيع تتفاوت من منطقة إلى أخرى لان العوامل آنفة الذكر كانت على درجات متباينة في التأثير.

عززت الهجمات الوهابية على النجف و كربلاء في عام ١٨٠٣م الهوية الطائفية لعلماء الشيعة و زادت دافعهم للضغط على العشائر للتشيّع و لذا فان نهب كربلاء و الهجمات على النجف أماطت اللثام عن انكشاف العلماء الشيعة في العراق حيث كانوا يفتقرون إلى الجيش العشائري الذي يتمكن من صد مثل هذا الخطر على وجود المدنيين، فضلا عن ذلك فإن غزوات الوهابيين تزامنت مع صمود النجف و محاولتها التنافس مع كربلاء على موقع المركز الأكاديمي الشيعي الأول و باستثناء حالة واحدة قام بها الخزاعل بمهاجمة القوات الوهابية في العراق و هي تزحف على النجف، كان اتحاد الخزاعل _على العموم_ اضعف من أن يتصدى للوهابيين أو غير مكترث بمصير المدينة.

أثار هذا قلق العلماء في النجف و المناطق المحيطة بها فحاولوا تعزيز المذهب الشيعي بين الخزاعل و بناء جيش يتألف من أبناء هذا الاتحاد مادام الخطر الوهابي قائماً(١٠٦)، وكان لقيام النجف و كربلاء بوظيفة السوق الصحراوية و مخازن حبوب في العراق قد جعل المدينتين قناة اتصال مهمة بين العشائر، مما سهل عملية تحولها من المذهب السني إلى المذهب الشيعي إذ كانت الرحلة السنوية لعشائر العراق و الصحراء السورية و الجزيرة العربية، تدور حول موسمين، ففي موسم الأمطار كانت العشائر تتوجه نحو الرعي في المناطق الصحراوية و لكنها بين أوائل نيسان و أواخر تشرين الأول، كانت تقطن قرب المناطق الريفية المزروعة بحثاً عن الماء و الغذاء،و كان هذا يتزامن مع موسم حصاد الحنطة والشعير في جنوب العراق، إذ تبدأ هذه الرحلة في شهر نيسان(١٠٧).

كما كان للدور الذي مارسه علماء الدين الشيعة تأثير كبير على تحول القبائل العربية من السنة إلى الشيعة لكن على الرغم من هذا النشاط إلا أننا لا يمكن أن نفسر انتشار التشيّع لدور هؤلاء حصراً و إنما استعداد هذه العشائر لقبول المذهب الشيعي، و يزداد هذا جلاءً إزاء حقيقة أن اغلب المصادر تتفق حتى الشيعية منها على عدم وجود أي اثر تقريباً للمذهب الشيعي بين مربي الإبل الرحل في العراق في أوائل القرن العشرين، علماً أن المذهب الشيعي لم ينتشر إلا بين العشائر التي استقرت (١٠٨) و إن القبائل التي احتفظت بطريقة الحياة الصحراوية بقيت سنية من دون استثناء تقريباً حتى يومنا هذا(١٠٩).

و أغلب الظن أن حجم التشيع في القرن التاسع عشر لا يمكن أن يفهم فهماً كاملاً إلا بوصفه نتيجة غير مقصودة للسياسة العثمانية في توطين العشائر، ففي عام ١٨٣١م استأنف العثمانيون السيطرة المباشرة على العراق لتنتهي بذلك حقبة حكم المماليك(١٧٤٩م-١٨٣١م) و بخلاف جهود المماليك الذين عملوا على تحطيم العشائر بتوجيه ضربات إليها من حين إلى آخر من دون توفير نمط حياة بديل، فإن الحكام العثمانيين الجدد شجعوا أفراد القبائل على الاستقرار و التوجه نحو ممارسة الزراعة، و كان جهود الحكام يعكس رغبة اسطنبول في توطين القبائل لزيادة الإنتاج الزراعي و الفوائد المتحققة من الضرائب لإدامة انخراط الإمبراطورية بصورة متزايدة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي، و على الرغم من أن توطين العشائر لم يتطور إلى سياسة واضحة في العراق، ابتداء من ولاية مدحت باشا (١٨٦٩م – ١٨٧٢م) فان العثمانيين أيضاً سعوا إلى توطين العشائر في إطار محاولاتهم لزيادة العوائد المستحصلة من العشائر(١١٠).

عد العثمانيون التوطين الوسيلة التي يستطيعون بها (تمدين) القبائل و غرس القانون بينهم و إجبارهم على تسوية نزاعاتهم في المحاكم المدنية و ليس العرف العشائري(١١١) فقد سعى حاول الولاة إلى توطين العشائر و إخضاعهم لسيطرة الدولة الصارمة، وعملوا على اعادة بناء المجتمع العشائري، فقاموا بتفكيك الاتحادات العشائرية الكبيرة و إضعاف مركز شيوخها البارزين بإجراءات عدة منها إناطة مراكزهم بآخرين و توزيع الأراضي على العوائل الكبيرة و المتنفذة بل و حتى الفقيرة لكنها _هذه الأخيرة_ لم تسجل الأراضي باسمها خوفاً من

مصادرتها بطريقة ما أو خشية أن يسهّل تسجيل الأراضي سوقهم إلى الخدمة العسكرية و اختار الكثير منهم نقل ملكيتهم بدلاً من ذلك إلى تجار المدن مقابل تمتعهم بحقوق الاستزراع و حصة من المحصول و خلال القرن التاسع عشر استقر القسم الأعظم من العشائر و توجه نحو ممارسة الزراعة (١١٢).

تحطمت البنية العشائرية نتيجة لعملية الاستقرار هذه اذ إن انتقال العشائر من الترحال إلى الزراعة أوجد حاجة ملحة إلى آليات إضافية للتعامل مع التعقيدات الاقتصادية – الاجتماعية الجديدة، و كذلك إلى الخدمات الدينية، فقد ربطت الزراعة أفراد العشائر بالماء و بقطع صغيرة من الأراضي و عملت على تفتيت المجتمع العشائري و تفكيك الاتحادات العشائرية لكونها تجمعات سياسية و فقدت العشائر ولاسيما الكبيرة تميّزها كوحدات اقتصادية – اجتماعية، و اصبح رجال العشائر الذين توطّنوا اكثر انكشافاً من نظرائهم الرحّل بسبب اعتمادهم في مصادر رزقهم على محصول يمكن أن تجري بسهولة السيطرة عليه،و طلب العثمانيون من الشيوخ الذين فقدوا الكثير من سلطتهم السياسية السابقة أن يديروا أنظمة عشائرية معقدة اقتصادياً و منقسمة اجتماعياً إلى مراتب، و هي مهمة لم يكونوا مؤهلين لها،و قد وقعت القبائل التي استقرت تحت تأثير الدعاة الذين اثّروا في تغيير قناعاتهم بتحويلهم الى مذهب الأمامية، إذ كان الشيعة يعرفون نواحي الضعف في هذه القبائل البدوية كما يعلمون جيداً كيفية مخاطبتهم و يكسبونهم في صفوف الشيعة، و كانت وسائلهم في ذلك_ إلى جانب بعض الوسائل الأخرى_ إظهار الظلم الذي تعرضت له أسرة الرسول محمد (صلى الله علية وسلم) في واقعة الطف عام ٦١ هـ فقد قدمت الدعاية الشيعية قصصاً رائعة عن قيمة البطولة و الشجاعة و الشرف و الكبرياء و المروءة و أيقظت في البدو قيم البداوة الكامنة في قلوبهم، كما قدمت هذه الدعاية حكايات مليئة بالحزن و العذاب يستطيعون معها أن ينسوا ما فيهم من احزان وضربات القدر التي تعرضوا لها في حياتهم(١١٣)، لذا كان المؤمنون و الذين كانت غالبيتهم من السادة وتم إرسالهم من الحوزات محط أنظار جميع أفراد العشائر التي استقرت و اصبحوا جزءاً لا ينفصل من المجتمع المتحضر فقد خففوا من حدة التوترات داخل العشيرة و فيما بينها و بين أبناء العشائر الأخرى جاعلين من أنفسهم إشارات ضوئية لتنظيم حركة السير في النظام العشائري الجديد ومضطلعين بدور الزيت في عجلته(١١٤).

سهل هذا الحال (للمؤمنين) تكثيف دعوتهم إلى التشيع منذ أوائل القرن التاسع عشر، و مما ساعد الدعاة و الوعاظ الشيعة في ذلك الزمان الأوضاع السلمية نسبياً في البلاد و تراخي سيطرة المماليك في المنطقة الواقعة جنوب بغداد كما أفادوا من لا مبالاة آخر المماليك داود باشا(١٨١٧م – ١٨٣١م) الذي كان مستعداً للسكوت عن نشاط الدعاة الشيعة (١١٥)، كما إن الدعاة استثمروا تراجع العثمانيين في عام ١٨٣١م عن سياسة المماليك التي حرّمت ممارسة الشعائر الشيعية علناً في العراق، و نالوا حرية أوسع لممارسة نشاطهم بين رجال العشائر بعد الإستراتيجية الجديدة التي اعتمدها السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦م – ١٩٠٩م داعياً فيها إلى وحدة المسلمين، وتأكيد أنصار (تركيا الفتاه) على مبدأ المساواة بعد ثورتهم في عام ١٩٠٨م (١١٦).

هذا فضلاً عن الأحلاف العشائرية المتحركة في الريف كانت تشكّل في اغلب الأحيان السلطة الوحيدة على نفسها، و لعل هذه التحولات قد حصلت على حساب الحكومة، لان الحكومة كانت ذا سمعة سيئة عند أبناء العشائر اذ كان أبناء العشائر يربطون بين الحكومة و الاضطهاد و الظلم، فضلا عن حقيقة أن الحكومة كانت سنيّة، مما سهل مهمة (رجال الدين الدعاة) كثيرا بالتحول إلى المذهب الشيعي(١١٧) كما أن غياب الدعاية العثمانية السنية المضادة والعدد الصغير جداً من العلماء السنة الذين طغى عليهم نظراؤهم الشيعة في العراق كان لها الدور الأكبر في تحول القبائل من السنة إلى الشيعة و لم تنجح الحلول في ايقاف هذا الموضوع(١١٨)،هذا فضلاً عن أن الحكومة العثمانية منحت الشيعة حرية كاملة في القيام بعباداتهم بطرقهم الخاصة في كل الأمكنة التي كانوا يعدونها مقدسة، و يبدو أن السبب في هذا كان الربح المادي المتحقق من تدفق الزوّار إلى العراق، أما في باقي الأماكن الأخرى، و تحديداً في البصرة أو بغداد، فقد كانوا ممنوعين من ممارسة شعائرهم بحرية، هذه القاعدة التي كانت سارية على الأقل في أيام الحكم المملوكي (١٧٤٩م – ١٨٣١م)(١١٤) و قد خفّت حدتها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ثم خفّت اكثر بعد ثورة الأتراك في عام ١٩٠٨ م، أما خلال العهد الملكي فكانت الحرية الدينية للشيعة مطلقة و كاملة(١١٩).

مما تقدم نخلص الى القول إن من أهم الأسباب التي دعت بعض القبائل في العراق، بالتحول من المذهب السني الى المذهب الشيعي هو السياسة العثمانية و ضعف إداراتها، و اهتمامها فقط بالمدن وعدم اهتمامها بإرسال علماء دين إلى مناطق العشائر و كذلك فسحها المجال لأحياء الشعائر الدينية الشيعية والسياسة الغريبة التي كان يمارسها العثمانيون على السكان ولاسيما السكان المستقرون الذي ساعد على استقرارهم مهمة المؤمنين الشيعة الذين كانت ترسلهم الحوزات و بأعداد كبيرة،و كذلك سياسة التعسف العثمانية تجاه السكان اذ انهم عدو الحكومة هي رمز للسلطة المتحيزة المتعسفة و هي سنية لهذا اتجهوا نحو المذهب الشيعي، هذا فضلاً عن أن العلماء السنة و _بشكل فردي_ لم يهتموا بالموضوع كونه يحتاج إلى الجهد و المال الكبيرين، يضاف الى ذلك أن عدم اهتمام القبائل بالعلماء السنة التي أرسلتهم الحكومة كونهم يمثلون الحكومة.

أما الدعاة فانهم يمثلون السلطة الدينية للشيعة وليس الحكومة التي كانت تمنع اقامة شعائرهم الدينية،اذ يمكن القول إن زيادة الفجوة بين الشيعة و السنة تعود الى ان مورد الرزق الذي يعيش عليه علماء الدين في كلا المذهبين، فعالم الدين السني يعتمد في رزقه _في اغلب الأحيان_ على الحكومة، بينما زميله الشيعي يعتمد على العامة و هذا جعل كلاً منهما ينظر إلى الحياة بمنظار يختلف عن الآخر، اذ تغلب على أهل السنة نزعة الطاعة للحكومة و احترام أوامرها فهم يعتقدون أن السلطان ظل الله في الأرض، و إن طاعته من طاعة الله، أما الشيعة فهم ينظرون إلى الحكومة نظرة انتقاد و احتقار و انهم يلتزمون (التقية) تجاهها، و لكنهم لا يحبون التقرب إليها، أو قبول أي عطاء أو مرتب منها، فيمكن القول إن الشيعة تخلّصوا من اضطهاد الحكومة فوقعوا في ابتزاز علماء الدين، فعلماء الدين في المذهب الشيعي يعيشون على ما يردهم من الزكاة و الخمس، و ما يوصي لهم الأموات من ثلث أموالهم(١٢٠) .

خلقت السياسة العثمانية هذه تناقضات كبيرة في المجتمع العراقي و تعدداً في الولاءات(١٢١) و اصبح سكان العشائر يقسمون على أقسام كما ذكرنا و كذلك يتوزع سكان المدن في محلات خاصة موزعة أما حسب القومية أو الطائفة أو حسب الفئة أو حسب الحرفة أو حسب العشيرة التي قدِموا منها اذ أدّى هذا إلى تشجيع و نمو روحية محلية قوية(١٢٢).

لم تكن جميع هذه الولاءات سلبية أو تؤدي الى التقسيم أو متحجرة بل إنها كانت تؤدي الى نتائج إيجابية فالعشائر و المحلات و الأصناف كانت تشكل تعبيراً جزئياً عن النزعة الفطرية للحصول على الحماية من خلال الوحدة، وهي حماية لم تكن الحكومة العثمانية تؤمنها بانتظام نتيجة لضعفها(١٢٣)، وصار الدين الإسلامي الذي كان من الممكن أن يكون عامل دمج وتوحّد، اصبح عنصراً من عناصر التشتيت(١٢٤) وأوجد انشقاقاً حاداً بين العرب الشيعة و السنة، و كانوا حتى في المدن المختلفة يعيشون في أحياء منفصلة لكل منهم حياته الخاصة، و كانت حكومة السلطان العثماني التي تقود المسلمين السنة، تعد بالنسبة للشيعة المتشددين في الجوهر حكومة مغتصبة للسلطة و في رأي هؤلاء لم تكن هذه الحكومة تملك حتى مؤهلات تطبيق قوانين الإسلام، و كان الشيعة يشعرون باغتراب عنها، و كان قليل منهم يقوم بخدمتها أو الذهاب إلى مدارسها (١٢٥) و نتج عن ذلك أن ظهر بين الشيعة ميل في التطلع نحو إيران التي يعدّونها الحامية التقليدية لعقيدتهم و ذلك طلباً للحماية و الإلهام(١٢٦).

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد و إنما كانت هناك عداوة تقليدية بين المناطق الحضرية و المناطق العشائرية الريفية في خصائص الحياة الأساسية، فالعشائر تنظر إلى الإدارة وسكان الحضر بوصفهم مستغلين و جباة ضرائب، في حين تخشاهم الإدارة و سكان المدن إذ يعدونهم محاربين غير منضبطين لا يحترمون القانون و النظام ولا يحترمون الناس وممتلكاتهم(١٢٧)، هذه باختصار الصورة التي كان عليها المجتمع العراقي في تلك الحقبة.

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. إن الدولة العثمانية لم تكن تهتم ببناء و أعمار العراق وإنما كانت تسعى إلى جمع الضرائب و الجنود لحروبها الخارجية.
٢. لم تكن الهوية العراقية واضحة المعالم في تلك الحقبة وإنما كان العراقيون ينسبون إلى ولاياتهم فيقال (بغدادي، بصراوي، موصّلي).
٣. عملت الدولة العثمانية على تشجيع الطرق الصوفية في العراق لإلهاء العراقيين عن التفكير باستقلالهم واعتمدت المذهب الحنفي من دون الاهتمام بالمذاهب الأخرى.

٤. بعد قيام الحكم الوطني بدأت الهوية العراقية تبلور في نفوس العراقيين.

٥. وزّعت الحكومة الوطنية الإقطاعيات على شيوخ العشائر مما خلق هوةً كبيرة بين كبار الملاك الإقطاعيين و الفقراء وأصبح للإقطاعيين دور مهم في إدارة البلاد.

٦. ظلت الغالبية العظمى من سكان العراق تعاني الجوع و الحرمان و الفقر ونقص الخدمات الطبية و تعمل تحت أوامر الإقطاعيين.

٧. على الرغم من كل ذلك إلا أن الوحدة الوطنية ترسخت في نفوس العراقيين في الحكم الوطني الذي بدأ عام ١٩٢١م بتنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق، وما أحوجنا اليوم أن نتمثل تلك القيم التي ينهض بها العراق بعيداً عن المذهبية و الطائفية.

## هوامش البحث:

١. اديث وائي، ايف، بينروز، العراق: دارسة في علاقاته الخارجية والتطورات الداخلية ١٩١٥ – ١٩٧٥، الجزء الاول، ترجمة عبد المجيد القيسي، (بيروت – دون تاريخ) ص ٥.

٢. غسان عطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ – ١٩٢١، ترجمة عطا عبد الوهاب، (لندن،١٩٨٨) ص ٣٣.

٣. انشأ مدينة بغداد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور عام ١٤٥ هـ لتكون عاصمة للخلافة العباسية التي حكمت البلاد الى عام ١٢٥٨ م وهو العام الذي احتل فيه المغول بغداد واستمر حكمهم الى ١٣٣٨ م ثم جاء بعدهم الجلائرين ثم بعدهم تيمور لنك الذي توفي في عام ١٤٠٥م هو مايعرف بالغزو التيموري. ثم جاءت بعده الاقوام التركمانية القره قوينلوا واق قوينلو ثم تلاهما الصفويين واخير العثمانيون الذين اخذوا الموصل في عام ١٨١٦ ودخلوا بغداد في عام ١٥٣٤ والبصرة في عام ١٥٤٦.

٤. ماريون فاروق سلوغلت، بيتر سلوغلت، من الثورة الى الدكتاتورية:العراق منذ عام ١٩٥٨ ترجمة مالك النبراسي، (منشورات دار الجمل، ٢٠٠٢) ص ٢١.

٥. فمثلا انتقلت السيطرة من العثمانيين الى قوى محلية في بغداد مدعومة من قبل الصفويين في بداية القرن السابع عشر(١٦٢٣م–١٦٣٨م)ومن ثم تم اعاده السيطرة عليها مجددا عام ١٦٣٨، وفي عام ١٧٠٤ انقطع الحكم العثماني المباشر عن بغداد بسيطرة المماليك على مقاليد الحكم واصبحت ولاية بغداد تتبع الحكومة العثمانية من الناحية الاسمية فقط لغاية عام ١٨٣١ عندما تمكن جيش عثماني من هزيمة المماليك، عندها بدأت عملية اعادة دمج لاغلب ولايات الدولة العثمانية مع سلطة الدولة المركزية،للتفاصيل راجع ستيفن همسلي لونكريك،اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث،ترجمة جعفر خياط،(بغداد،١٩٧٦).

٦. البرت منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم التكريتي (جامعة بغداد، ١٩٧٨)، ص ٢ ،عطية، المصدر السابق، ص ٣٣.

٧. سلوغلت وسلوغلت، المصدر السابق، ص ٢٢.

٨. عطية، المصدر السابق، ص ٣٥.

٩. حنا بطاطو، العراق الطبقات والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الجزء الاول، ترجمة عفيف الرزاز (بيروت، ١٩٩٠) ص ٣١.

١٠. اسحاق نقاش، شيعة العراق،(قم، ١٩٩٨) ص ٣٧.

١١. ستيفن هسلي لونكريك، العراق الحديث ١٩٠٠ – ١٩٥٠ ، الجزء الاول، ترجمة سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٨) ص ٣٠.

١٢. معظم الاكراد في العراق هم مسلمين سنة باستثناء اقلية بسيطة جدا تعتنق المذهب الشيعي وهم ما يعرف بالكرد الفيلية.

١٣. لونكريك، العراق الحديث، مصدر السابق، ص ٣١.

١٤. المصدر نفسه.

١٥. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٦.

١٦. بطاطو، المصدر السابق، ص ٥٧.

١٧. يسكن في كركوك ايضا بعض التركمان الشيعية لاسيما في منطقة تسعين والحمزلي اما تلعفر فان النسب بين الشيعة والسنة فهيه مختلفة اذ يمثل السنة حوالى ٨١% و يمثل الشيعة ١٩%.

١٨. بطاطو، المصدر السابق، ص ٥٧ – ٥٩.

١٩. تم احتساب هذه النسب من الارقام المستقاة من البرت منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٤١٧، وهي موزعة على الطوائف بالنسبة للمسلمين وعلى الاديان بالنسبة لليهود والمسيح والاديان الاخرى.

٢٠. تم اعداد الجدول والنسب من قبل الباحث اعتمادا على منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٢١٧، وبعض المصادر الاخرى المذكورة في البحث.

٢١. عطيه، المصدر السابق، ص ١٣٥.

٢٢. محمد علي تميم، (كركوك في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢١ – ١٩٣٢)، مجلة جامعة كركوك، ع ١،، ٢٠٠٥، ص ٢٥.

٢٣. بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٢.

٢٤. كانت الشعارات الاكثر شيوعيا بين عامة بغداد، هو (الدين يا محمد) وهو شعار استخدم كثيرا في مظاهرات ٦ تشرين الثاني ١٩١١ ضد الغزو الايطالي لطرابلس، المصدر نفسه، ص ٣٢.

٢٥. المصدر نفسه، ص ٣٣.

٢٦. فمثلا حدث ثورات في بغداد في الاعوام ١٦٢١ و ١٦٢٣ و ١٦٣٣ و ١٦٣٨ و ١٦٥٦ و ١٦٨٩ و ١٧٣٣ و ١٧٧٧– ١٧٧٨ و ١٧٨٦ و ١٨٠٢ و ١٨٠٣ و ١٨٢٢ و ١٨٣١ و ١٨٧٧ و ١٨٧٨ و ١٨٩٢ و ١٨٩٥ للتفاصيل راجع المصدر نفسه، ص ٣٤.

٢٧. المصدر نفسه، ص ٣٣.

٢٨. المصدر نفسه، ص ٣٣.

٢٩. سيكون في هذا التقسيم مواطن السكن في بداية الاحتلال البريطاني اما تسمية الالوية واستخدامها فانها كانت لتسهيل الفهم اذ ان بعض التقسيمات الادارية ظهرت متاخرة نسبيا في العراق.

٣٠. عبد الجبار الرواي، البادية، (بغداد، ط٢، ١٩٤٩)؛ مكي الجبل، البدو والقبائل الرحالة في العراق، (بغداد، ١٩٥٩).

٣١. عمار يوسف عويد العكيدي، سياسة بريطانيا تجاه العشائر العراقية ١٩١٤ – ١٩٤٦، اطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية، جامعة الموصل ٢٠٠٣ (ص ١ – ٢).

٣٢. هناك بعض اسماء العشائر التي ترد هنا هي انتماء الى عشائر اكبر منها لكنها عرفت من قديم الزمان بها من قبل مثل البو هيازع وغيرهم.

33. British reports of administration for 1918 of Parisians and districts of the occupied in mesopo tam ia / vo.1.

٣٤. العكيدي، المصدر السابق، ص ٣.

٣٥. عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، ط٣ (بيروت، ١٩٥٨) ص ٩٠.

٣٦. بطاطو، المصدر السابق، ص ٩٣.

٣٧. الحسني، المصدر السابق، ص ١٧٣.

٣٨. العكيدي، المصدر السابق، ص ٤.

٣٩. عمران موسى المندلاوي، عشائر مندلي، (بغداد ١٩٧١)، ص ٧.

40. British reports , op. cit , p.121.

٤١. الحسني، المصدر السابق، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

٤٢. العكيدي، المصدر السابق، ص ٥ .

٤٣. تعود بعض العشائر الكردية في اصولها الى عشائر عربية مثل البرزنجي والجباري والجاف وغيرهم.

٤٤. فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم التحاديين ١٩٠٨ – ١٩١٤، (الموصل، ١٩٧٥) ص ٨٥.

٤٥. الحسني، المصدر السابق، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

٤٦. العكيدي، المصدر السابق، ص ١٢.

٤٧. تميم، المصدر السابق، ص ٢٣ – ٢٤.

٤٨. هي مجموعة من القبائل تسمى الكرد الفيلية ويرجح لونكريك انهم من اصول فارسية ينتمون الى عشائر مختلفة بينما يؤكد ساسة الاكراد انهم من اصول كردية، لو نكريك، العراق ١٩٠٠ – ١٩٥٠، المصدر السابق، ص ٣٠.

٤٩. لونكريك، المصدر نفسه، ص ٣٠.

٥٠. تحكم كركوك العلاقات نتيجة الارستقراطية حالها حال بعض مدن العراق الاخرى مثل الموصل وبغداد والبصرة وهي هنا استثناء من باقي مناطق العراق الاخرى لاننا نستطيع القول ان جميع مناطق العراق تحكمها العلاقات العشائرية حتى المدن الحديثة باستثناء المناطق الاربعة (بغداد والموصل والبصرة وكركوك) حيث تحكمها العلاقات الارستقراطية والتجارية وتشتهر العوائل فيها، على الرغم من تحدرها من اصول عشائرية على مهنتها او على عميد اسرتها كما ذكرنا سابقا.

٥١. هي ليست عشيرة الداودي الكردية المعروفة وانما هناك عشيرة تركمانية تحمل الاسم نفسه تسكن في تلعفر.

٥٢. ارشد الهرمزي، حقيقة الوجود التركماني في العراق ، ط٢ (بيروت، الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٥)، ص ١٨٧ – ١٩٠.

٥٣. ثامر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية، الجزء التاسع (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩٠) ص ٢٤٠.

٥٤. لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٠.

٥٥. للتفاصيل عن الايزيدية انظر صديق الدملوجي، الايزيدية، (الموصل، ١٩٤٩) ؛ سامي سعيد الاحمد، اليزيدية احوالهم معتقداتهم (بغداد، ١٩٧١).

٥٦. العكيدي، المصدر السابق، ص ١٢٣.

٥٧. احمد فكاك احمد البدراني، الحياة الاجتماعية في العراق (١٩١٤-١٩٣٢)، اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب، جامعة الموصل ٢٠٠٤، ص ٢٥.

٥٨. عطيه، المصدر السابق، ص ٤٠.

٥٩. نوري الراوي، البداوة والاستقرار في العراق، (القاهرة، ١٩٦٩) ص ١١١ – ١١٣.

٦٠. عطيه، المصدر السابق، ص ٤٠.

٦١. العكيدي، المصدر السابق، ص ٨.

٦٢. المصدر نفسه، ص ٩.

٦٣. بطاطو، المصدر السابق، ص ١١٢.

٦٤. العكيدي، المصدر السابق، ص ٩.

٦٥. يقصد به الضيف من غير العشيرة ويسكنها لظروف قاسية ويفرض العرف على مجاوريه كل ما يقتضيه واجب الضيافة.

٦٦. يقصد تامين عبور فرد من ديرة عشيرة اخرى تمتاز ببأسها. العكيدي، المصدر السابق، ص ١١.

٦٧. الكلمة تحريف عن الفارسية سر –كال والتي تعني حرفيا المشرف على العمل.

٦٨. بطاطو، المصدر السابق، ص ١١٢.

٦٩. يبدو انها ماخوذة من العربية غلام.

٧٠. كذلك يبدو انها ماخوذة عن العربية زلام او زلم.

٧١. بطاطو، المصدر السابق، ص ١١٣.

٧٢. فمثلا نجد ان سكان بغداد في عام ١٩١٩ كان حوال ٢٥٠ الف نسمة، عدد السكان الشيعة فيه كان حوال ٢١ % فقط لكن نجد ان هذه النسبة تزداد كثيرا في عام ١٩٥٧ اذ لا يمكننا تفسير هذه الزيادة نتيجة الولادات فقط وانما كان الدور الاكبر هو للهجرة السكانية بسبب الظروف الصعبة التي عاشها الفلاحين في جنوب العراق ولاسيما في لوائي العمارة والناصرية اذ قصدوا بغداد بحثا عن عمل غير الزراعة خاصة بعد تاسيس مجلس الاعمار في عام ١٩٥٠ ووزارة الاعمار في عام ١٩٥٤ بعد زيادة عائدات النفط بعد اتفاقية مناصفة الارباح ومحاولة الحكومة اعمار العراق.

٧٣. كل العائلات المذكورة هنا هي سنية ما عدا الثمانية الاخيرة اذ ان فيها ستة من العائلات الشيعية المشهورة والاثنين الاخرتين من علماء الشيعة. بطاطو، المصدر السابق، ص ٦٦.

٧٤. حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ – ١٩٩٠ (ايران، د.ت) ص ٦٣.

٧٥. محمد علي تميم، المصدر السابق، ص ٢٥.

٧٦. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٢١.

٧٧. المصدر نفسه، ص ٢١ – ٢٢، عطيه ؛ المصدر السابق، ص ٣٣.

٧٨. عطيه، المصدر نفسه، ص ٣٤.

٧٩. المصدر نفسه.

٨٠. سلوكلت، المصدر السابق، ص ٢٣.

٨١. بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٥. سلوكلت، المصدر نفسه، ص ٢٣.

٨٢. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٦.

٨٣. مثل مشكلة الاثوريين ومشكلة الدور البهائية. للتفاصيل راجع عامر سلطان قادرالاسحاقي، العراق وعصبة الامم ١٩٢٠ – ١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، جامعة الموصل ٢٠٠٠، ص ٥٩ – ٦٤.

٨٤. غانم محمد الحفو، محاضرات في تاريخ العراق المعاصر، مجموعة محاضرات القيت على طلبة الدراسات العليا لعام ١٩٩٩ في جامعة الموصول، مطبوعة بالرونيو، ص ٨.

٨٥. بنيروز، المصدر السابق، ص ٥٢.

٨٦. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٦.

٨٧. عبد المجيد العاني، مقدمة كتاب العراق ١٩١٥ – ١٩٧٥، تاليف بينروز، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ .

٨٨. المصدر نفسه،ص ١٨.

٨٩. المصدر نفسه،ص ٢٢.

٩٠. المصدر نفسه،ص ٢٤–٢٥.

٩١. المصدر نفسه،ص ٢٦.

٩٢. المصدر نفسه.

٩٣. عين فهد الهذال قائم مقام لمنطقة الرزازة.

٩٤. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٨.

٩٥. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء ٨ (بغداد، د. ت)، ص ١١١.

٩٦. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٩.

٩٧. وذلك لانه يجيز الخلافة من غير ال البيت راجع احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ٦٢.

٩٨. العاني، المصدر السابق، ص ١٩ – ٢٠.

٩٩. فرهاد ابراهيم، الطائفية والسياسية في العالم العربي نموذج الشيعة في العراق، ترجمة مركز دراسات التفاعل الثقافي والترجمة (مصر، ١٩٩٦)، ص ٤٨.

١٠٠. للتفاصيل حول الامارة المشعشعية انظر: علي شاكر علي، العراق في العهد العثماني ١٦٣٨– ١٧٥٠ (الموصل،١٩٧٦).

١٠١. اسحاق نقاش، شيعة العراق، (العراق، د. ت)، ص ٣٧.

١٠٢. المصدر نفسه.

١٠٣. المصدر نفسه، ص ٣٧ – ٣٨.

١٠٤. المصدر نفسه، ص ٣٨.

١٠٥. ابراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد، د. ت)، ص ١١٠ – ١١٥.

١٠٦. رسول حاوي الكركوكي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء (بغداد، د. ت)، ص ٢١٢.

١٠٧. عبد الجبار العريم، القبائل الرحالة في العراق (بغداد، ١٩٥٦) ص ٢٣ – ٢٤.

١٠٨. المس بيل، فصول في تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط (بيروت، ١٩٧١)، ص ١٨.

١٠٩. علي الوردي، دراسات في المجتمع العراقي (بغداد، ١٩٥٦)، ص ١٤٤.

١١٠. نقاش، المصدر السابق، ص ٤٥.

١١١. المصدر نفسه، ص ٤٦.

١١٢. المصدر نفسه، ص ٤٧.

١١٣. ابراهيم، المصدر السابق، ص ٤٥.

١١٤. نقاش، المصدر السابق، ص ٥٢ – ٥٣، ومن الجدير بالذكر ان التاثيرات لم تكن تتلعق بتحول القبائل من الطائفة السنية الى الشيعية وانما حصلت تغيرات في نظام القيم عند البدو اذ تغيرت مكانة الشيخ واصبح هو الملاك كما تغيرت علاقته باعضاء القبيلة الذين اصبحوا اجراء لديه ومن هنا اكتسب هذا الشيخ قيمة جديدة، ابراهيم، المصدر السابق، ص ٤٦.

١١٥. الكركوكي، المصدر السابق، ص ٢٧٨ – ٢٧٩.

١١٦. نقاش، المصدر السابق، ص ٥٤.

١١٧. بطاطو، المصدر السابق، ص ٦٢.

١١٨. كانت الحلول المقترحة لمواجهة نشاط الشيعة تشمل على تكثيف التربية السنية وزيادة الدعوة لمذهب السني في العراق فقد ارسلت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٥ خمسة علماء سنة لتنظيم التربية العثمانية ومواجهة الدعاية الشيعية لكنهم فشلوا بسبب قلة عددهم وعدم دعم المسؤولين المحليين لهم ولم يكن لديهم حافز لانهم لم يكونوا يستلموا راتباً بانتظام، نقاش، المصدر السابق، ص ٥٥.

١١٩. دفع هذا الحال الى ان يكون هناك استقرار من بعض طلاب الحوزات الشيعية الذين كانوا قادمين من ايران واصبحوا فيما بعد مراجع دينية في العراق فمثلا مده القرن التاسع عشر كان من مجموع ٦٨ مرجعا طوال فترة القرن التاسع عشر كان ٤٦ منهم من الفرس و ١٤ من العرب والبقية من الاتراك، ابراهيم، المصدر السابق، ص ٦٥.

١٢٠. بطاطو، المصدر السابق، ص ٦٢.

١٢١. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، (ايران، د. ت)، ص ٢٣٠.

١٢٢. الوردي، دراسات في المجتمع العراقي، ص ٢٣٠.

١٢٣. بطاطة، المصدر السابق، ص ٣٥ – ٣٧.

١٢٤. المصدر نفسه، ص ٤٠.

١٢٥. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٦.

١٢٦. بطاطو، المصدر السابق، ص ٣٦.

١٢٧. عطيه، المصدر السابق، ص ٣٦.

## ABSTRACT

Structure of Iraqi society the end of ottoman rule the beginning of the establishment of the national government. The term Iraq ,though, a simple verbal differences ,appeared presence since the earliest periods of history, but he also throughout the ages has not always mean a specific geographical entity, certain and not even politically before 1920 but he was referring more opaque to the alluvial plain south of Iraq today any area stretching from Baghdad to Basra walkhlij Arab , and has used the term Iraq instead of the word is Greek (Mesopotamia) later to the board consisting of three cities (Basra ,Baghdad and Mosul) and the surrounding countryside. The area the make up what is now called Iraq's modern history from the official part of the Ottoman Empire for four centuries, and that almost until the landing of (British troops stationed in India troops in FAO in the last week of November 1914). Since 1534, the year dominated by the Ottomans to Baghdad and until the beginning of the British occupation of Iraq in 1914, Iraq was part of the Ottoman empire and that differed described from time to time, and may I note the longstanding areas of Baghdad, Basra and Mosul three one mandate is the mandate of Baghdad and is what is known as the Iraq plan, but in 1879 he separated Mosul as (an independent state and lay Basra in 1884). And general enjoyment of Iraq – like most parts of the Ottoman Empire – a kind of autonomy in Administrative, economic, financial, and for most of the period of Ottoman rule. The results of this partial independence and relative to the actual administrative became However notables in the provinces, cities, and tribal elders, however and gamblers military. It was on those who often get installed right in the administration of the Ottoman authorities in continued but their bases were local within a limited area and as a result, the little bit of who lived states of Basra, Baghdad and Mosul; they had a sense of being part of a political unit major.